

## متى دور لبنان؟

### بقلم الياس بجاني

#### مسؤول لجنة الإعلام في المنسقية العامة للمؤسسات اللبنانية الكندية

لفتني خبر أذاعته في ٢٦/١٢/٢٠٠٠ محطة الإذاعة البريطانية ومفاده أن الرئيس السوري الشاب بشار الأسد قرر تعيين سفير جديد لبلاده في العاصمة الأردنية بعد قطيعة دبلوماسية بين البلدين بدأت عام ١٩٩٣ على إثر توقيع المغفور له الملك حسين اتفاقية السلام مع إسرائيل. وأشار نفس الخبر إلى أن الأسد الابن وافق مؤخراً على تعيين مجموعة من السفراء لبلاده في عدد من الدولة الغربية من بينها كندا ليصبح عدد السفراء السوريين في تلك الدول عشرين بعد أن كان في عهد والده ثلاثة فقط، هذا واعتبرت الإذاعة أن قمة الانفتاح السوري تجلت في إعادة العلاقات الدبلوماسية بين دمشق وبغداد بعد قطيعة وعداء استمر عشرين سنة.

لقد شدني الخبر ورأيت فيه بارقة أمل لبلدي لبنان المعذب بسبب إصرار حكام دمشق منذ سنة ١٩١٩ على عدم الاعتراف الفعلي باستقلاله وحدوده وهويته متحججين بمقولات إنشائية مفرغة من أي معنى تتبدل مع تبدل الحكام، مثل "شعب واحد في بلدين"، "وحدة المسار والمصير"، "أواصر التاريخ والجغرافيا"، "الخاصرة الرخوة" والخ.

ترى هل ما يربط الأردن والعراق بسوريا من أواصر قرينة وتاريخ وجغرافيا وقومية ولغة ودين وحدود وغيرها مختلف عما يربط سوريا بلبنان؟ بالطبع لا، ولكن الأردن حكمه قوي وكذلك العراق وهما لم يسمحا للحكام السوريين بالهيمنة على بلديهما، علماً أن "دمشق البعث" حاولت مراراً التسلل إلى البلدين ففشلت.

أمام الحكم السوري الجديد-القديم الآن فرصة تاريخية لتصحيح الخلل المشين الذي يشوب العلاقات اللبنانية السورية منذ العام ١٩١٩ ووضعها في مسارها الطبيعي ووضع حد نهائي وأبدي للأطماع السورية في لبنان وإقامة علاقات دبلوماسية كاملة بين البلدين كما هي الحال بين كافة الدول العربية وسوريا وبين لبنان والدول هذه. فلماذا لبنان وسوريا هما فقط الدولتين اللذين لا تقيمان علاقات دبلوماسية بينهما؟

الجواب يكمن في أن حكام سوريا ورغم اعترافهم الكلامي باستقلال لبنان فإنهم لم يترجموه مرة واحدة إلى أفعال صادقة والرئيس السوري الراحل حافظ الأسد رفض زيارة لبنان طوال فترة حكمه التي استمرت ثلاثين سنة رغم أنه كان الحاكم الفعلي له منذ الإطاحة بحكمه الشرعي الممثل بحكومة الرئيس العماد عون سنة ١٩٩٠، وذلك حتى لا تفسر الزيارة على أنها اعتراف باستقلاله وسيادته على أراضيها ضمن حدوده المعترف بها دولياً.

إن الأطماع السورية في لبنان هي مشكلة مشاكل اللبنانيين وسبب كل معاناتهم منذ سنة ١٩٢٠ يوم أعلن الجنرال غورو حدود لبنان الكبير وتحفظت سوريا عنه في حينه ولم تغيّر من موقفها حتى يومنا هذا. فهي التي أشعلت حروب الآخرين على أرضه، وهي التي أوصلته إلى الحال المأساوية الاحتلالية التي يزرح تحت نيرها منذ ٢٥ سنة، وهي التي فرغته من ثلثي سكانه وأفقرتهم ودمرت اقتصاده وقوضت كل مقومات سيادته واستقلاله وشرعت حدوده للمارقين والمافيات والإرهابيين، وهي التي همشت حكمه ونصبت حكام دمی وواجهات لا ذمة ولا ضمير ولا وجدان لهم. وما قضية احتلال سوريا لمزارع شبعا قبل عام ١٩٧٦ ومن قبلها إثارة البلبله في بلدة دير العشائر وغيرهما من المناطق اللبنانية إلا أمثلة قليلة على أطماع ما سكنت ولا هدأت نارها يوماً.

إن لبنان القوي السيد الحر المستقل الديموقراطي هو سند لسوريا ولغيرها من دول المنطقة، فيما لبنان الفوضى والاضطراب والفلتان والفقر والجوع ووكر الإرهاب هو وابل ولعنة على سورياً تحديداً وعلى كل دول المنطقة عموماً.

لقد حاول حكام سوريا طوال ٢٥ سنة وبكافة وسائل الإرهاب والقتل والتدمير تركيع اللبنانيين وبث روح الشقاق والفرقة بينهم حتى توهموا أن الوقت قد حان للانقضاض على الفريسة والقضاء عليها، فإذا بهم يفاجئوا بأن الشعب اللبناني ما زال موحداً وأنه بكافة شرائحه متمسك بسيادة واستقلال وهوية بلده وليس على استعداد للتنازل عن أي منهم مهما كانت الصعاب ومهما تنوعت وسائل الترهيب والترغيب. وما موقف السيد وليد جنبلاط السیادي الأخير ومعه ولو بدرجات متفاوتة الرؤساء عمر كرامي وحسين الحسيني ومئات القيادات اللبنانية إلا دليلاً ساطعاً على تمسك اللبناني ببلدانه وهويته وحرية ونظامه التعايشي الديموقراطي.

إن الالتفاف الوطني اللافت الذي زخر بكركي وسيدھا عقب بيان المطارنة الوطني وما تبعه من جرأة في المواقف من قبل رجال دين وسياسيين وصحافيين ومتقفين ومواطنين هو رد رادع على كل المتوهمين بإمكانية بلع لبنان وهضمه، وقد قيل لبنان وإن بلع فلا يمكن هضمه. إن الخطاب السیادي الاستقلالي الذي حمل لوائه دولة الرئيس العماد عون منذ العام ١٩٨٨ ومعه البشيريين وكافة المؤمنین بديمومة لبنان ال ١٠٤٥٢ كلم مربع، لبنان التعايش والسلام والحرية والرسالة، هو اليوم خطاب السواد الأعظم من اللبنانيين، وما يتمناه هؤلاء جميعاً أن يعي الحكم السوري الجديد-القديم هذه الحقيقة ويتعامل معها بروح الأخوة والجيرة والمسؤولية ويقیم علاقات دبلوماسية بين البلدين أسوة بكل بلدان العالم التي تحترم القانون واستقلال وخصوصية غيرها من الدول.